

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ -

الحمد لله واسع الفضل والكرم والجود، عطاءه لعباده جل وعلا بلا حد ولا حدود، وإكرامه لأوليائه وأصفياءه لا يستطيع أن يفهم ولا ينعتهم مع ما هم فيه من عظيم فضل الله إلا من تولاه مولاه ووالاه، وأوصله بحبيبه ﷺ ومطفاه، والملاة والسلام على من ذكر كل إنعام، وسبب كل نعمة ظاهرة أو باطنة لنا ولجميع الأنام، من باح قلوبنا في الدنيا وشفيعنا يوم الزحام، وبابنا إلى الجنة، وجارنا في مواجهة الملك العلام، سيدنا محمد، وآله الكرام، وصحابته البررة الأتقياء العظام، وكل من والاهم على هذا الهدى القويم، وعلى هذا المنهج الكريم، وعلينا معهم أجمعين ... آمين آمين يارب العالمين.

إخواني وأحبائي بارك الله فيكم أجمعين:

أراد الله ﷻ وهو الفعال لما يريد أن يخلدنا من شواغلنا، وأن يفرغنا من مشاكلنا، وأن يجعلنا نتوجه إليه بالكلية في شهر العطية، فدعوا الخلق خلف ظهوركم ولا تفتشوا فيما دار، ولا تشغلوا أنفسكم بـ غار أو كبار، بل اجعلوا كل همكم في وجه الله، وفي حبيب الله ومطفاه، وفي الهناء العالی الذي جعله الله لنا في هذه الأيام المقبلة بالخير والبركة علينا وعلى المسلمين أجمعين إن شاء الله.

كلنا والحمد لله تجار مع العزيز الغفار، ورئيس شعبة التجار هو النبي المختار، ونقباء التجار هم أصحابه الأخيار، وآل بيته الأبرار، وأتباعه على هذا الدرب إلى يوم القرار، وأي تاجر في ميدان الإيمان يتعامل مع حضرة الرحمن ومع وكالة النبي العدنان لا تفوته هذه الفرصة في اغتنامها، والفوز بما هبى الله ﷻ فيها لأهلها، وإلا كان من المفلسين يوم الدين، وقد ورد عن النبي ﷺ:

{ أَحْضَرُوا الْمُنْبَرِ، فَحَضَرْنَا، فَلَمَّا ارْتَقَى دَرَجَةً، قَالَ: آمِينَ، فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّانِيَةَ،

قَالَ: آمِينَ، فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّلَاثَةَ، قَالَ: آمِينَ، فَلَمَّا نَزَلَ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ سَمِعْنَا مِنْكَ الْيَوْمَ شَيْئًا مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ، قَالَ: إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَرَضَ لِي، فَقَالَ: بُعْدًا لِمَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، قُلْتُ: آمِينَ، فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّانِيَةَ، قَالَ: بُعْدًا لِمَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُقَالِ عَلَيْكَ، قُلْتُ: آمِينَ، فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّلَاثَةَ، قَالَ: بُعْدًا لِمَنْ أَدْرَكَ أَبْوَاهُ الْكِبَرِ عِنْدَهُ أَوْ أَحَدُهُمَا، فَلَمْ يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: آمِينَ {^١

إِذَا يَا أَحِبَابَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ مِنْ خَرَجَ مِنْ رَمَضَانَ وَلَمْ يَنْلِ مَقَامَ مَغْفِرَةِ الْغَفَارِ فَقَدْ بَاءَ بِالْخِزْيِ وَالْهَوَانِ وَالذُّلِّ وَالْخُسْرَانِ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ لِقَاءِ الدِّيَانِ وَعَجَّلِي، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثٍ مَتَّعِجًا:

{ هَذَا رَمَضَانٌ قَدْ جَاءَ تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَانِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ النَّارِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ

الشَّيَاطِينُ، بُعْدًا لِمَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ فِيهِ، إِذَا لَمْ يُغْفَرْ لَهُ فِيهِ فَمَتَى؟! }^٢

الذي لا يَحِلُّ عَلَى الْمَغْفِرَةِ فِي هَذَا الْأَوْكَازِيُونَ الْمَفْتُوحِ فَمَتَى يَحِلُّ عَلَيْهَا؟! وَهَذَا لِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَالْكَلِّ يَحْتَاجُ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ إِلَى مَغْفِرَةِ حَضْرَةِ الْغَفَارِ وَعَجَّلِي، وَلِذَلِكَ نَوَّعَ اللَّهُ فِيهِ أَبْوَابَ الْمَغْفِرَةِ، وَنَوَّعَ فِيهِ الْأَعْمَالَ وَأَصْنَافَ الْعِبَادَاتِ، وَالْمَهْمُ فِي الْعَمَلِ الْقَبُولِ، فَيُرِيدُ الْعَبْدُ أَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ مِنْهُ وَيَتَقَبَلَ عَمَلَهُ وَيُعْطِيهِ الْمَغْفِرَةَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، قَالَ ﷺ:

{ مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ }^٣

ويقوم رمضان لأنه يقول لنفسه ربما لا يتقبل الأيام وأدخل في قول الحبيب عليه أفضل الصلاة والسلام:

{ رَبِّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ }^٤

١ الحاكم في المستدرک والطبرانی عن كعب الأنصاري ؓ

٢ الطبرانی ومصنف أبي شيبة عن أنس ؓ

٣ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن أبي هريرة ؓ

فيقوم ليحظى بقوله ﷺ:

{ مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ }^٥

ثم يقول لنفسه لعل في نفسي علة خفية تمنع قبول أعمالي كلها عند رب البرية، فأسارع إلى العطية لأنها أسرع عمل لنيل المغفرة وإكرام الله جل في علاه، فيسارع إلى إفطار الصائمين، قال ﷺ:

{ مَنْ فَطَرَ فِيهِ صَائِمًا كَانَ لَهُ مَغْفِرَةٌ لِذُنُوبِهِ، وَعَتَقَ رَقَبَتَهُ مِنَ النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ

أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْتَقَصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ }^٦

أما أهل الإنعام فيعلمون علم اليقين أن هذا شهر العطاء التام من الله ﷻ، وفيه تُفتح كل كنوز الخير والفضل والجود والإكرام، ويكفينا في هذا ما رواه سيدنا طلحة الخير بن عبيد الله ﷺ فقد حكى أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ قَبِيلَةِ بُلَيٍّ أَسْلَمَا، فَقُتِلَ أَحَدُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأُخِّرَ الْآخَرُ بَعْدَ الْمَقْتُولِ سَنَةً، ثُمَّ مَاتَ، قَالَ طَلْحَةُ: رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فِي الْمَنَامِ، فَرَأَيْتُ الْآخَرَ مِنَ الرَّجُلَيْنِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَوَّلِ، فَأَصْبَحْتُ فَحَدَّثْتُ النَّاسَ بِذَلِكَ، فَبَلَغْتُ النَّبِيَّ، ﷺ فَقَالَ:

{ أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ، وَصَلَّى بَعْدَهُ سِتَّةَ آلَافِ رُكْعَةٍ وَكَذَا كَذَا رُكْعَةٍ }^٧

كان شهر رمضان الذي صامه هو سبب هذا الرقي وسبب هذا العلو وسبب هذه الرفعة وسبب هذه المنزلة الكريمة التي جعلها له مولاه جل في علاه.

بالله عليكم عندما يسمع أصحاب الحبيب ذلك كيف يكون حالهم في رمضان؟ سيكونوا في تجارة دائمة دائبة ليلاً نهاراً مع حضرة الرحمن ﷻ، فكانوا يجعلون رمضان

٤ الحاكم في المستدرک وسنن ابن ماجة والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

٥ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن أبي هريرة ﷺ

٦ أخرجه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي في شعبه عن سلمان ﷺ

٧ الأحاديث المختارة ومسند الإمام أحمد

كله لله جل في علاه وكان الأئمة والعلماء حتى أئمة الفقه يبدأون بأنفسهم في ذلك ليكونوا أسوة.

وعلى سبيل المثال كان الإمام مالك رضي الله عنه إمام أهل المدينة يجلس يُدرِّس حديث النبي وفقه النبي في مسجده المبارك طوال العام، فإذا هَلَّ هلال شهر رمضان فض مجالس العلم وغلَّق الدروس وتفرغ تفرغاً كلياً لتلاوة كتاب الله وَعَجَّلَ.

وكذلك كان تلميذه النجيب الإمام الشافعي رضي الله عنه إذا جاء رمضان صرف طلاب العلم وغلق حلق العلم وتفرغ لتلاوة القرآن، وكان من شدة شغله بتلاوة القرآن يُذكر له أمراً يعجب منه من لم يتذوق هذا الشأن، فقد روي عنه رضي الله عنه أنه كان يختم القرآن في رمضان ستين مرة ثلاثين ختمه بالنهار وثلاثين ختمه بالليل.

اللسان يعجز عن مطاوعة الإنسان في تلاوة القرآن بهذه الكيفية، لكن إذا عيي اللسان تحرك لسان القلب والجنان، وعمل القلب والجنان أسرع من عمل الجوارح والأركان بآلاف المرات، لذا كان يقول رضي الله عنه فيما سوى ذلك: (ما بين وضع رجلي في سرج دابتي وامتطاء دابتي يمر القراءان كله من أوله إلى آخره على فؤادي) هذه قراءة ثانية، قراءة يقول فيها الله لحبيبه وم **طفاه**: ﴿ أَقْرَأْ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ (العلق) والواو هنا واو المعية، أي اقرأ مع ربك، فالذي سيقراً مع الله كيف تكون هذه القراءة؟!.

فكانوا يجعلون شهر رمضان شهر للإقبال بالكلية على حضرة الرحمن وَعَجَّلَ أما العباد فكانوا يشغلون أوقات شهر رمضان وآناته وأنفاسه بالعبادات، وأما العارفون فكانوا قبل استقباله يجهزون القلوب، ويقتلعون ما فيها من العيوب، ويغسلونها بماء الندم والأوبة والإستغفار لحضرة **ع**م الغيوب، ويثقلون القلب ويلمعونه بذكر الله وَعَجَّلَ في كل وقت وحين، فإذا دخل رمضان كان القلب راتعاً في الجنان لا ينظر إلا إلى أسماء الله وصفاته، ولا يرقب إلا عطاءاته وتفضله، ولا يشتهي إلا نظرة من كمالات ذاته، أو نظرة من

حبيبه ومصطفاه، لا يلتفت يميناً أو شمالاً، شرقاً أو غرباً إلا لحضرة الله.

فَرَّ من الجوارح والأركان وما يحتاج إليه الجسم والنفس والأعضاء والأركان منشغلاً بالكلية بما يطلبه القلب والجنان من حضرة الرحمن وَعَلَيْكَ: ﴿أَفَفِرُّ إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الذاريات).

ولذلك يُروى عن أصحاب حضرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و وَعَلَيْهِمُ السَّلَام أنهم كانوا يرون أن الرجل منهم إذا شُغِلَ أو شُغِلَ نفسه بما يفتر عليه ليس له رتبة عند القوم، فكانوا لا ينشغلون إلا بالإقبال على حضرة الله، وما تحتاجه النفس والمعدة والبطن كانوا يريحون أنفسهم من الفكر فيه طوال هذا الشهر، وبمجرد أن يخطر على البال شيئاً من هذا الذي ذكرناه كانوا يعدون ذلك ذنباً في حق العارفين والصادقين والمخلصين المتوجهين إلى حضرة الله وَعَلَيْكَ، وكانوا لا يتناولون السحور إلا رغبة في بركته لأن الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لهم مراراً وتكراراً: هلموا إلى الطعام المبارك:

{ تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً }^٨

ولولا تكراره عليهم ما تسحروا ولا ضجروا ولا ملوا ولا تملموا، لأن الله وَعَلَيْكَ وهو المقيت كان يُقيتهم بقوت من عنده، انظر إلى رجل منهم وهو يقول:

جُعنا فأطعمنا الحقائق ربنا واسق الجميع محبة الغفار

يريدون الحقائق وليس المأكول والمشرب، يريدون شربة من كأس المحبة الذي يقول

فيها الصديق وهو سيد الأحبة: (من ذاق جرعة من صافي طهور محبة الله لم يلتفت نفساً إلى سواه) جرعة واحدة فقط: ﴿سَقْنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (الإنسان).

فكانوا التماساً لبركة السحور كما يحكي عنهم أئمة التابعين يقولون: كان إذا خاف

أحدهم أن يفوته الفلاح - السحور - حسى حسوات من ماء، وكانوا يسمون السحور

٨ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الفلاح لأن هذا وقت الفلاح ووقت المفلحين، لأن النبي ﷺ قال:

{ تَسَحَّرُوا وَلَوْ بِجِرْعَةٍ مِنْ مَاءٍ }^٩

كثير من الناس ينظمون لهم جدولاً للسحور والفقور، ففي اليوم الأول في المكان الفلاني، وفي اليوم الثاني في المكان الفلاني وهكذا، وهو يرى أنه يُجبر خاطر الذين سيذهب إليهم، لكن لماذا لا يُجبر خاطر المساكين الذين بداخلك أولاً؟! هم يتمنون أن يشموا رائحة حضرة النبي ﷺ ويشربوا شربة من الشراب الطهور، ويروا ولو ساطعة من نور حضرة الغفور.

يريدون الهمم العالية وليس الهمم الدنية، فكان على هذه الشاكلة أصحاب النبي ﷺ، وكُمَّل أتباع النبي والعارفين الصادقين الذين هم على قدم النبي، والوَرَاث والأصفياء إلى يوم الدين، وهؤلاء موجودون دائماً: ﴿ ثُمَّ رَتَّنَا صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ عَلَى اللهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٣٢ فاطر).

والأرض مليئة - والحمد لله - منهم، فالله ﷻ عَدَّ لَنَا ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ، وَتَحْتَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ مَا لَا يَحْصَى وَلَا يُعَدُّ مِنَ الْأَصْنَافِ، فَهَمَّ مَوْجُودُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهَؤُلَاءِ كُلُّ هَمِّهِمْ فِي رَمَضَانَ عَطَاءَاتِ حَضْرَةِ الرَّحْمَنِ، فَالوَاحِدُ مِنْهُمْ فِي نَهَايَةِ هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ لَا بَدَّ وَأَنْ يَكُونَ انْتَصَرَ جُنْدَ الْحَقِّ فِيهِ عَلَى جُنْدِ الْبَاطِلِ، وَفَازُوا إِمَّا بِوَسَامٍ أَوْ إِنْعَامٍ أَوْ إِكْرَامٍ، أَوْ يُدْرَجُ فِي لَوْحَةِ الشَّرَفِ الَّتِي عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ وَيُطَالَعُهَا الْأَنَامُ يَوْمَ الزَّحَامِ.

فلا بُدَّ وَأَنْ يَجْعَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ شَهْرَ لِحَضْرَةِ الرَّحْمَنِ، وَلَا بُدَّ وَأَنْ يُجَهِّزَ الْقَلْبَ وَالْفُؤَادَ، وَحَتَّى لَوْ اشْتَهَتْ النَّفْسُ شَيْئاً وَتَرَكْتَهُ لِلَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ مِنْ إِكْرَامِهِ لِأَحْبَابِهِ وَأَهْلِ خَاصَّتِهِ مِنْ عِبَادِهِ يَأْتِي لَهُمْ بِمَا يَشْتَهُونَ بِلَا تَعَبٍ وَلَا عَنَاءٍ وَلَا طَلَبٍ، حَتَّى لَا يُحَاسِبُوا

٩ صحيح ابن حبان عن عبد الله بن عمرو

عليه، فلو طلبت النفس مني شيء وأخذت أفكر وأقدر إلى أن أتيت بهذا الشيء فسوف أحاسب على الوقت الذي فكرت فيه، والمال الذي اشتريت به، والشغل الذي انشغلت به عن الله، ولكن إذا جاءنا الطعام بلا حساب على يد أحد من الأحباب بلا سؤال ولا طلب: ﴿اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (النور ٣٨) فلا يكون عليه حساب في هذا الأمر.

فشهر رمضان شهر تعرّض لعطاءات الله ومنح الله، وشهر حصاد لفضل الله وإكرام الله وعطاء الله، والذي يريد المقام الأرقى بأن يكون من المحسنين والموقنين، ويكون له خصوصية وإكرام عند رب العالمين، ويؤيدهم الله وعجلك بكراماته وخصوصياته في كل وقت وحين، عرفه ربه وعجلك أنه لا بُد أن يُغير نفسه بالكلية في رمضان، كما غير أحواله شرع الرحمن، حتى يجعله الله وعجلك من الذين يقول فيهم في القرآن: ﴿هُم مَّا نَصَلَىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (الزمر ٣٤).

أنت تسير على نظام معين قبل رمضان، فالطعام له ميعاد، والنوم له ميعاد، هذا النظام يتم تغييره في رمضان، لذا فهو فرصة لكي تراجع نفسك وتغير عاداتك وطباعك وأخلاقك وسلوكياتك، فشهر رمضان هو شهر التغيير لمن أراد أن يكون له مقام كبير عند العلي الكبير: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُ مَا نَفْسِهِمْ﴾ (الرعد ١١) وقال أحد الصالحين: (إذا أردت أن يخرق الله لك العوائد فاخرق من نفسك العوائد). تريد من الله أن يخرق لك العادات، أي يجعل لك كرامات فالكرامة هي خرق العادة، فرجل يمشي على الأرض يقطع الكيلو متر في نصف ساعة فيخرق الله له العادة فيجعله يأخذ الأرض كلها في ساعة، وآخر يمشي على الأرض فيجعله الله يمشي على الماء أو الهواء، ما هذا؟ خرق عادة لمن خرق عاداته، فهذا دورك أنت.

كثير من السالكين يريد عاداته وطباعه وأخلاقه وسلوكياته كما هي، ويريد أن يُظهر الله على يديه الكرامات، ويؤيده الله بالمنح والعطايات، ويريد أن يتحدث الناس عنه كما يتحدثون عن الصالحين والصالحات السابقين رضوان الله عليهم أجمعين، فمن أين سيأتي هذا الكلام؟! إلا إذا ذهبت وسط مجانين وجلست تروي لهم روايات وهم يُصدقونها، وهذه أمور لا يُصدقها عقل ولا يُثبتها نقل.

لكن إذا أردت أن يخرق الله لك العوائد لا بُد أن تخرق من نفسك العوائد، فتُغير عاداتك وأخلاقك، فلا يرفث ولا يفسق ولا يَسُب ولا يشتم، وإن أحد سابه أو شاتمته فليقل اللهم إني امرؤ صائم.

وهذا الشهر الكريم دورة تدريبية، فلو أردت العطايات الربانية فلا بُد أن تسير على هذا المنهاج بعد الدورة التدريبية أبد الدهر، فأنت تُدرب نفسك على هذه الحقائق لكي تنال فضل الله وكرم الله وعطايا الله مثل الصالحين السابقين والمعاصرين، إذاً لا بُد أن تسير على هذا المنهاج في كل وقت وحين، فتجد الصالحين ليس لهم عادة تحكّمهم لا في رمضان ولا غيره، وأخلاقهم هي أخلاق الحبيب ﷺ إن كان في رمضان أو قبل رمضان أو بعد رمضان، ودستورهم كما أخبر سيدنا أبو ذرٍّ رضي الله عنه قال:

{ أَمَرَنِي خَلِيلِي ﷺ بِسَبْعٍ: أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ، وَالذُّنُوبِ مِنْهُمْ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرْتُ، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهُنَّ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ

{ ١٠

يا ليتنا أن نعمل بهذا مع أنفسنا وإخواننا في الله، فأضمن لكم أن تكونوا في أعلى

المقامات، لأننا لا نرى الانفعالات والصوت العالي مع الإخوان وبعضهم!، النفس تريد أن تُبعد الإنسان من طريق الأنس، فإذا اقترب الإنسان من الأنس تضع له مشكله مع حبيب لكي تكون معضلة عند الحبيب ﷺ، ويرجع ويتوب، ثم قد يتجدد هذا مع حبيب آخر، لأنه كل أخ من الإخوان له نصيب عند حبيب الله ومصطفى ﷺ، ومن أساء إلى أخ في الله لا بُد أن يكون له من الشئون القانونية النبوية ولو لوم أو عتاب أو إنذار أو توبيخ أو تعذيب عن الدرجات والترقيات!!.

هذه حكمة الله، فلا بُد أن يكونوا رحماء بينهم، فمن الجائز أن يكون لك حال مع الله، ولك أعمال لا تُعد ولا تُحد من العبادات عند حضرة الرحمن، ولكنك أغضبت أحد من إخوتك في الله، انظر إلى سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وما أدراك بأبي بكر؟ عن عائذ بن عمرو رضي الله عنه:

{ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ، وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَخَذْتَ سَيْوْفَ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَا أَخَذَهَا، قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ: لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ، فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ أَغْضَبْتُمْكُمْ؟ قَالُوا: لَا، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي }^{١١}

إخوانك يا أخي فيهم من هو على هذه الشاكلة، ومن الجائز أنك لا تعرفهم، ومن الجائز أنك تتهاون بهم ولا تعرف السر الذي في صدورهم، ولا تعرف الخصوصية التي في قلوبهم، فكونك تُظهر ضيقاً أو تبرماً ولو ظاهراً نحوهم ربما يكون هذا حجابك، وقد يكون لعاء دنوي أو علاء أخروي، ومشايخ القوم وظيفتهم إزالة هذا اللبس ونزع ما في الصدور: ﴿ نَزَعْنَا مَا فِي رِهِم مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَبِلِينَ ﴾ (الحجر).

فإياك أن تجلس لحظة من اللحظات ويوجد بداخلك شيء نحو أحد من إخوانك في الله، فهذه مصيبة، وهناك مصيبة أعظم من هذه وهي أن بعض الإخوان يرى أحد إخوانه في الله قد فتح الله عليه في كلمة أو بيان الخصوصية، والخصوصية لا تقتضي الأفضلية، وآخر اجتمع عليه بعض الخلق، فهل هذا الجمع شرط أن يكون رضا من الله؟ لا، فقد يكون فتنة من الله وَعَجَلِكْ ويقول أحد الصالحين:

والخلق فتنة من أردت صدوده وشهود أهل البعد في الأدوار
فيقوم بحسنه على هذه الخصوصية، ونحن لا يوجد عندنا هذا المرض نهائياً، لأنه
هذا المرض فُضي عليه قضاءً تاماً من مجتمعات الصالحين الذين هم على قدم النبي عليه
أفضل الصلاة وأتم السلام، ولكن أدعو له دائماً بأن يزيد الله ويؤيده ويسدده.

هذه الأمراض هي التي توقف كثير من اللاب، ونحن لا نلقي لها بال، ولكن هي
أساس من أسس القوم في الإقبال على الواحد المتعال وَعَجَلِكْ، وبعض إخواننا يقول لي أنا
لا أحب فلان، أو أنا أكره فلان، فنحن لا يوجد عندنا أحد يكره أحد، ولكن أكره
حُلُقُه إذا كان به حُلُق غير سوي، وأحاول أن أنصحه وأوجهه، لكن لا أكرهه هو، لأن
هذه بضاعة الرحمن وصنعة الله، فكيف أكرهها؟!!!.

ولكننا لا نرى في الكل إلا حضرة الرحمن، والرائحة التي فيكم من النبي العدنان
ﷺ، فكل واحد منكم فيه رائحة من رسول الله ﷺ، ونخبه من أجل هذه الرائحة، وليس
لأن عنده شيء، ولو أن هذه الرائحة انتهت ماذا سَنُحب فيه؟! وماذا نعمل به؟! وكل
أخ له رائحة خاصة به.

اثنان من إخواننا أيام الأمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه، واحد منهم كان بينه وبين أخ
من الإخوان شيء بداخله، وهذا الأخ اسمه الشيخ عبد الباسط، وهذا الرجل كان كلما
أنجبت زوجته ولد يموت، فحملت زوجته، فقال للإمام أبو العزائم: يا سيدي زوجتي

حامل وأنا أريد أن يكرمها الله في هذا الحمل ولا يموت، فقال له: إذا وضعت زوجتك فقم بتسميته عبد الباسط، فقال له أسمىه عبد الباسط؟ قال له: نعم لكي يعيش، فقال له: لن أسمىه عبد الباسط، وليموت!! انظر إلى النفوس!!، نفوس قال فيها الأمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه:

فإن النفوس تقودها لعناها والله بالشرع الشريف هداها
لولا الشريعة بينت سبل الهدى ضلت نفوس في سحيق هواها
فالنفوس هي سبب كل البعد عن حضرة الله، والتعلق عن منازل فضل الله، والحجر
عن إكرامات الله وعن عطاءات وهبات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك عليك من الآن
أن تفرغ القلب من الكل:

فرغ القلب من سوانا ترانا يا مريداً جمالنا وبهانا
ووجد جمال الحبيب يا أخي، غُض العين الحسية، وافتح العين التي بداخلك، سترى
النور المنتور في هذه البدور:

غُض عين الحس واشهد بالضمير تشهدن يا صب أنوار القدير
حينئذ تراها في إخوانك كلهم، تجدهم صور للحق صنعها بيده وصورها بتصويره
وأقامها بين الخلق، ولا يتحدث واحد منهم ولا يتحرك رجل منهم إلا بما يحركه الحق،
فتراهم كالعرائس في مسرح العرائس وملك الملوك هو الذي يحركها.

الأمام الجنيد رضي الله عنه كان يقول: (بقي لي ثلاثين عاماً أحدث الحق في الخلق والخلق
يظنون أنني أتحدث معهم) يظنون أنني أتكلم معهم وهو يتكلم مع السميع، من الذي
يسمع؟ ما معك أنت لتسمع به؟ ولكن السميع الذي يسمع، والبصير الذي يبصر،
والمتكلم هو الذي يتكلم، صفاته تُناغي صفات ذاته المبتوثة في مخلوقاته، وليس في الخلق
إلا صفاته، فهي التي تُحركهم، وتتحرك بأمره، وتواجه بعضها في هيئات خلقه إذا نظرت

بعين التوحيد وعين التفريد بعد تنزيه القلب وصفاءه للحميد المجيد وَعَجَّلْ.
وصلى الله على سيدنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه وسلم